المدعاة في الكلام ونحوه وما اكثرها فمن تدبرها وجد عامة المقالات الفاسدة يبنونها
على مقدمات لا تثبت الا باجماع مدعى او قياس وكلاهما عند التحقيق يكون باطلا ثم من العجائب
بعض متكلمة اهل الحديث من اصحاب احمد وغيرهم يدعون مثل هذا الاجماع مع النصوص
الكثيرة عن اصحابهم بنقيض ذلك بل عن امامهم وعن غيره من الايمة حتى في لفظ الحركة و
الانتقال بينهم في ذلك نزاع مشهور وقد اثبت ذلك طوايف مثل ابن حامد وغيره و
قد ذكر اجماع اهل السنه على ذلك حرب الكرماني وعثمن بن سعيد الدارمي وغيرهما من
علماء السنة المشهورين فليتدبر العاقل ما وقع في هذه الاصول من الاضطراب و
ليحمد الله على الهدى وليقل ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا
غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم ولكن نعرف ان هذه الحجة تبين فساد قول الجهمية من
المعتزلة وغيرهم الذين يقولون خلق الله كلاما في محل كما ذكروه يبين فساد هذا
القول الذي اتفق سلف الامة وايمتها على ضلال قايله بل ذلك عند من يعرف ما جاء
به الرسول معلوم الفساد بالاضطرار من دين الاسلام ولكن هذا يسلم ويبطل قول من جعل
الافعال قايمة به وجعل صفة التكوين قايمة به ولهذا انتقضت على الاشعرية بدون
الجمهور ويبين ان كلام الله قايم به وهذا حق واما كونه لا يتكلم اذا شا ولا يقدر ان
يتكلم بما شا فهذا ابتدعه الا بما ابتدعته الجهمية من قولهم لا تحله ولا تقوم به الحوادث وبذلك نفوا
ان يكون استوى على العرش بعد ان لم يكن مستويا وان يجي يوم القيمة وغير ذلك مما وصف به
نفسه في الكتاب والسنه واما قول هولاء لو خلقه في نفسه لكانت ذاته محلا للحوادث
فالذين يقولون انه يتكلم اذا شاء لا يقولون انه خلق في نفسه شيا اذ الخلق هو فعل ايضا
قايم به عندهم بمشيته فلا يكون للخلق خلق اخر والا لزم الدور والتسلسل ولهذا لم
يقل احد ممن قال بذلك ان كلامه مخلوق بل كل من قال ان كلامه مخلوق فانما مراده انه
خلقه منفصلا عنه والسلف علموا ان هذا مرادهم فجعلوا يبينون فساد ذلك كقول
مالك واحمد وغيرهما كلام الله من الله وما يكون من الله شي مخلوق وقولهم كلام الله من الله
ليس ببابن عنه وقول احمد لمن سال اليس كلامك منك قال بلى قال فكلام الله من الله ومثل
هذا كثير في كلامهم فلو ان المحتج قال اتفق المسلمون على ان الخالق سبحانه لا يخلق في ذاته شيا لكان هذا

كلاما

٥٤

كلاما صحيحا فان احدا لم يطلق عليه انه خلق في نفسه شيا فيما اعلم بخلاف اللفظ الذي
ادعاه فان النزاع فيه من اشهر الامور والذين امتنعوا ذلك اكثر من الذين نفوه من اهل
الحديث واهل الكلام جميعا ولكن اتفاق الامة فيما اعلم انه لا يخلق في نفسه شيا يبطل
مذهب المعتزله ولا يدل على انه قديم لا يتعلق بمشيته وقدرته ولعل هذه هي حجة عبد العزيز
الكناني ولهذا النزاع العظيم بين الذين يقولون هو مخلوق او محدث بمعنى انه احدثه
في غيره والذين يقولون هو قديم لا يتعلق بمشيته وقدرته اذ كل من الطايفتين وجد
كل طايفة انما تقيم الحجج على ابطال قول الخصم لا على صحة قولها اما الذين ينفون الخلق
عنه فادلتهم عامتها مبنية على انه لا بد من قيام الكلام به وانه يمتنع ان يكون متكلما
بكلام لا يقوم الا بغيره وهذا اصل صحيح وهو من اصول السلف الذي بينوا به فساد
قول الجهمية واما الذين قالوا مخلوق فليس لهم حجة الا ما يتضمن انه متعلق بمشيته وقدرته
وان ذلك يمنع كونه قديما وذلك كقوله انا ارسلنا نوحا واوحينا الى ابرهيم واهلكنا
القرون لا يكون الا بعد وجود المخبر عنه والا كان كذبا لانه اخبار عن الماضي وكذلك
اخباره عن اقوال الامم المتقدمه ومخاطبة بعضهم بعضا بقوله قالوا وقالوا كذلك
فهذا لا يكون الا بعد وجود المخبر عنه وقولهم انه موصوف بانه مجعول عربيا وانه احكمت
اياته ثم فصلت والجعل اخبار بفعل منه تعلق به وذلك يوجب تعلقه بمشيته وقدرته هذا مع
وقد نص احمد على ان الجعل فعل من الله غير الخلق كما تقدم ذكر لفظه وقد حققوا ذلك
بان الله ذكر انه جعله عربيا على وجه الامتنان علينا به والامتنان انما يكون بفعله
المتعلق بمشيته وقدرته لا بالامور اللازمة لذاته ومن خالف ذلك اجابوا بجواب
ضعيف كقول ابن الزاغوني جعلناه اي اظهرناه وانزلناه فيقال لهم يكفي في ذلك ان
يقال انزلناه قرانا عربيا فانه عندكم لا يقدر على ان ينزله ويظهره غير عربي ولا يمكن
ذلك فاذا كان ذلك ممتنعا لذاته كيف يمتن بتركه فعله وانما الممكن ان ينزله او
لا ينزله اما ان ينزله عربيا او غير عربي فهذا ممتنع عندهم وقد قال تعالى ولو جعلناه
قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته فعلم ان جعله عجميا كان ممكنا وعندهم ذلك غير

Copyright © King Saud University